

هل المُتّقى يرتكب الأخطاء؟ وهل التقوى زهد؟



هو ليس معصوماً، وإن حاول أن يعصم نفسه من الزلا؛ لكنه يرتكب الخطأ، ويقع فيه، إِلَّا أَنَّ الْفَارقَ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَا يَتَمْتَعُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، أَنَّهُ سريعُ التراجع عن خطأه فما أَنْ يَتَذَكَّرْ أَنَّهُ  
تحت نظر الشاهد (الحاكم) معاً، حتى ينثني.. يقول تعالى في وقوع المُتَّقِين في الخطأ: إِنَّ الْأَذْيَنَ  
إِذَا قَوَّا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُ طَائِفَ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبَصِّرُونَ  
(الأعراف/ 201).. إنَّ فِي دَاخِلِ كُلِّ تَقِيٍّ (جهاز إنذار مبكر)!

وهذا يعني في ما يعنـيه، أن<sup>٢</sup> التقوـى استقـامة فـكرـية وسلوكـية وحيـاتـية عامـّة، تـخلـّـلـها حالـاتـ منـ الوـهـنـ والـضـعـفـ والـانتـكـاسـاتـ الآـنـيـةـ غـيرـ المـلاـزـمـةـ وـغـيرـ المـزـمـنـةـ أوـ المـسـتـدـيمـةـ، هـمـ سـرـعـانـ مـاـ يـتـبـدـيـهـونـ لأـخـطـائـهـمـ، وـيـرـاجـعونـ أـنـفـسـهـمـ، وـيـلـوـمـونـهـاـ وـيـحـاسـبـونـهـاـ، وـيـكـثـرـ بـيـنـ أـسـئـلـتـهـمـ النـاقـدـةـ سـؤـالـ: «أـينـ إـلـيـهـ؟!»

إنَّ المتأمِّل في قول الإمام عليٍّ (ع): «أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَأَجْلِ الْآخِرَةِ»، يرى أنَّ  
لا تلازم بين الزُّهد وبين التقوى، وإن كانت التقوى في معنىٍ من معانيها، زهدٌ بالحرام، وإفلاعٌ عن  
الانكباب على الشهوات الممنوعة، ذلك أنَّ قوله 7: «ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا» يوافق منطق القرآن:

وَابْتَدَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدُّرْدُورَ الْأَخِرَةَ وَلَا تَذَمَّسَ نَصْبِيَّكَ مِنَ الدُّرْدُورَ  
(القصص/ 77).

وبالتالي، فليس من الصورة أن أجتنب الدُّرْدُورَ لكي أكون تقىياً، وإنما الاجتناب يُطال المحرّمات والشبهات، وما عدا ذلك فإنّ تناول الطيبات من الرزق، وأخذ الزينة بكلّ معانٍها، والإثراء المشروع، هو من (التفوي) لأنّه طاعة ﷺ تعالى في مباحثه.. ولمّا كانت مساحة الحرام ضيقـة، ومساحة الحلال والمباح واسعة بما لا قياس بين الاثنين، فإنّ تارك الحال أو (مُحرّمه) على نفسه ليس تقىياً، لأنّه بذلك يُوسّع دائرة (الحرمة) ودائرة (الكراهية) ذات الحدود المعلومة، ومن هنا ينشأ التكاليف والتשديد والتحرج والتعسّف والتطرّف.

يومَ قَسَّمَ الإمام موسى الكاظم (ع) - في الرواية عنه - الأوقات إلى أربع ساعات، فإنّه كان قد وضع الساعة الرابعة للاستمتاع بالملذّات، قائلاً: «وَسَاعَةٌ تَخْلُونَ فِيهَا لِلَّذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحْرَمٍ، وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الْثَّلَاثِ سَاعَاتٍ» وقد أراد أن يلفت عنايتنا إلى أنّ هذه الساعة من الأهميّة بمكان بحيث يمكن الاصطلاح عليها بأزّها (ساعة الساعات) طالما أزّها تمكّننا من أداء أعمالنا العبادية والمعاشية والمجتمعية بيسير وسهولة وانشراح صدر.. وفي قول آخر للإمام عليّ (ع): «إنّ هذه القلوبَ تملّئُ الأبدان، فابتغُوا لها طرائف الحكم» ، والطريف: الجديد.

وكما يُطَاعُ إِنْ تَعَالَى فِي (عِزَّتِهِ) فرائصه وواجباته، وتكاليفه ومسؤولياته، يُطَاعُ كذلك في (رُحْصِهِ) وتخفيقاته في الأحكام، فليس من التقوى أن أُطالب بالتمام في صلاة السفر ولا بالصوم خلاله حتى مع قدرتي عليه وعدم استشعاري للمشقة، وليس من التقوى أن أغتسل وأنا مُثْخَنٌ بالجروح، وليس من التقوى أن أُعَانِد الطبيب الذي يرى أنّ الصيام يضرّ بصحيّتي، فقط لأنّني لا أحبّ أن يفوتنِي صيام الشهر، وإنْ تَعَالَى يُرْخِّصُني في آية الصيام بعدّةٍ من أيامٍ أُخْرَ إنْ كنْتُ مريضاً أو على سفرٍ، وعلى ذلك فقس ما سواه.